ذكاء الحيوان الاعجم وحيلته

طُلب من جماعة من المعتنين بتربية الحيوانات وتدريبها ان يكتب كلٌّ منهم اغرب ما وقع لهُ مما يدل على ذكاء الحيوان او على ما تفتقهُ لهُ حيلتهُ اذا وقع في مأزق فكتبوا ما يلي

قال المستر فرنك بُشتوك . ان خبرتي الطويلة في تربية الحيوانات وتدريبها ارتني شواهد كثيرة تدل على ذكاء الحيوان ولكن اذا قد طلب مني ان اورد حادثة واحدة اجتزيت بالحادثة التالية وقد كان لشمبانزي اليد الطولى فيها

ربيت هذا الشمبانزي احسن تربية فجاء غاية في الكياسة والتأدب لا ينقصهُ الاَّ النطق بل لم يكن في حاجة اليهِ اذا كان معي او مع الذين الفهم لاننا كنا نفهم مرادهُ كأنهُ يخاطبنا بالكلام . وقد سميتهُ فنصل وسأدعوهُ بهذا الاسم في ما يلي

حدث ذات يوم اني اتيتهُ بقرد صغير شديد الذكاء وشديد الاذى . وكان انوفاً يترفع عن معاشرة ما دونهُ من القرود لكنهُ رحب بهذا القرد على غير عادتهِ فاصطحب الاثنان وكانا يقضيان اكثر النهار سوية يلعبان ويمرحان على جاري عادة القرود

وكنت قد عوَّدت فنصل العيشة المرفهة فلهُ مخدع خاص يبيت فيهِ ومائدة يأكل طعامهُ عليها بتأدب وتأنق . واتفق ذات يوم ان القرد الآخر قلب صحفة الطعام فانكب على الارض وجاء فنصل يتناول طعامهُ وهو لا يعلم ما حدث فاصابت يدهُ الطعام المكبوب على الارض فرفعها حالاً مشمئزاً وكنت واقفاً فجعلت اراقبهُ وانا انتظر ان يهجم على القرد ويضربهُ لكنهُ لم يفعل ذلك بل وقف هنيهة كأنهُ يفكر في ما يجب عملهُ في تلك الحال ثم خرج من الغرفة وعاد بعد دقيقة من الزمان ومعهُ صابون ومنشفة ودلو ماء ومشى الى القرد بعظمة وتأنٍّ وقبض على رقبتهِ واعطاهُ المنشفة وجرَّهُ الى حيث الطعام المكبوب واضطرهُ الى لمهِ وغسل مكانهِ . ثم اخذهُ الى خزانة ووضعهُ فيها واقفل بابها ووقف امامها مصغياً ولما رأى ان القرد لم يبدِ حراكاً عاد الى المائدة وجلس وتناول طعامهُ على جاري عادتهِ ودلائل الانفة بادية على وجههِ

هذا وان اختباري الطويل في تدريب الحيوانات يدلني على انها واسعة الحيلة جداً وان ذكاءها يقوم بسعة حيلتها

وكتب المستر غانواي المشهور بتربية الكلاب وعرضها يقول : — ربيت الكلب

المعروف بشادر وعرضتهُ في كل المعارض التي تعرض فيها الكلاب حتى صار يحسب انهُ خُلق ليعرَض . وكان لهُ ابن عمتهُ شدي ودربتهُ مثلهُ لكي يقوم مقامهُ متى شاخ . واتفق اني عزمت ذات يوم ان اعرض كلاباً جديدة فرأيت ان اعرضهُ معها بدلاً من ابيهِ حيث عُرض ابوهُ مراراً كثيرة قبل ذلك فالبستهُ استعداداً لعرضهِ وكان ابوهُ يرى ذلك فاستغرب فعلي ثم لما مضيت بابنهِ وتركتهُ اخذ منهُ الغيظ كل مأخذ غيرةً وحنقاً . ولما عدت الى البيت رأيت تغيُّر اطوارهِ لانهُ لم يسرع الى ملاقاتي على جاري عادتهِ ولكنهُ بشَّ لي وتبسَّم وهو يمبص بذنبهِ فظننت انهُ نسي ما حدث وخرجت بهِ في المساء للنزهة على جاري عادتي وبينما انا سائر وهو الى جانبي تركني بغتةً واطلق القدامهُ للريح فناديتهُ وصفرت لهُ ولكنهُ لم يلتفت اليَّ ولم اعرف سبب ذهابهِ ولكنني كنت واثقاً انهُ لا يلبث ان يعود الى البيت . فصرفتهُ عن بالي وسرت نحو المعرض عازماً ان اؤدبهُ على ما فعل حينما اعود الى البيت

ولما دخلت المعرض رأيت فيهِ شيئاً غير عادي زرافات من الناس مجتمعين وكانهم يخافون ان ينتقلوا من امكنتهم فسألتهم ما الخبر فقالوا ان كلبك شادر جاء ليعرض نفسهُ وها هو مع كلب آخر . وكان كذلك فانهُ لما رأى اني اغضيت عنهُ استقلَّ بنفسهِ وذهب الى المعرض وحدهُ ولم يعبأ بي

فناديتهُ فلباني حالاً لان الكلاب التي من نوعهِ من اطوع ما يكون وعاد معي الى البيت ولكن على الرغم منهُ لانني لم ارهُ قط في حالة من القنوط وانكسار البال كما رأيتهُ حينئذٍ

ولقد مضى عليَّ سبع عشرة سنة وانا ادرب الحيوانات واعرضها ولم تقع لي حادثة ادل من هذه الحادثة على ذكاء الحيوان

وكتب المستر نورهل مربي الحيوانات في اميركا يقول كان عندي قرد فهم أُصيب بألم في احد اسنانهِ ونحن في اورليانس المهُ جداً فاستعملت لهُ كل مسكنات الالم على غير فائدة فنحف جسمهُ وتولاهُ الارق ورأيت ان السن المصابة في احدى الانياب ويعسر فلعها لطولها فعزم طبيب الاسنان ان يلبسها تاجاً من الذهب وخفت ان لا يجلس القرد امامهُ فاستعنت بثلاثة من الرجال ولكن حالما حقن الطبيب لثتهُ بالكوكايين زال الالم فجلس هادئاً لا يبدي حراكاً فثقب الطبيب الضرس ونظفهُ واثبت بهِ في اليوم التالي وحالما فُتح الباب اسرع الى الكرسي وجلس عليها وفتح فاهُ . وبقينا نتردد على طبيب الاسنان الى ان اتم تلبيس الناب بالذهب والقرد يسبقني ويجلس في الكرسي عن طيب نفس

وبعد سنتين اتينا اورليانس ومررنا امام باب طبيب الاسنان فالتفت القرد مني وصعد اليه متذكراً انهُ هو الذي اراحهُ من الالم

وكتب الماجور رتشردصن وهو ثقة في امر الكلاب المعروفة بالسلوقية الدموية قال ان امانة الكلب لصاحبهِ من ادل دلائل الذكاء ولذلك ارى القصة التالية تنطبق على ما يسئلت عنهُ وانا واثق بصحتها . وهي حدث في الحرب بين فرنسا والمانيا سنة ١٨٧٠ ان المعركة التي وقعت في بلد بازيل كانت من اشد المعارك فان الالمانيين اضطروا البلد وابلاً من القنابل فقابلتهم الحامية بمثلها ولم تسلّم لهم واخيراً اقتحمت فرقة من الالمان بيتاً وقتلوا كل الرجال الذين فيهِ طعناً بالحراب . وداروا حول البيت واذا هم برجل جريح مطروح الى جانب كلبهِ وبندقيتهُ الى جانبهِ واراد الجنود ان يجهزوا عليهِ ولكن ضابطهم منعهم وبعد قليل اضطرمت النار في البيت واسلم الجريح روحهُ وبقي كلبهُ الى جانبهِ حارساً لهُ وكان الضابط الالماني من محبي الكلاب فاشفق على الكلب ان يتركهُ هناك فيحترق فاحتال عليهِ واتقذهُ واخذهُ معهُ

وفي الشهر التالي أمر هذا الضابط ان يذهب للاستطلاع في غابة قرب اورليان وكان الفرنسويون هناك اقوى من الالمانيين فذهب مع بعض رجالهِ والكلب معهُ ومضى الليل وتضحى النهار ولم يأتِ القائد منهُ خبر فارسل مئة وخمسين من الجنود ليتتبعوا اثرهُ ويفتشوا عنهُ فساروا الى ان وصلوا الى الغابة فرأوا الكلب يعوي جريحاً عند مدخلها كأنهُ يقصد ان يوجه الانظار اليها ثم مشى امامهم الى ان وصلوا الى كومة كبيرة من الاغصان وجانب منها مكشوف وتحتهُ وجه الضابط صاحب الكلب وعلموا بعدئذٍ ان الفرنسويين التقوا بالالمانيين وقتلوهم كلهم وغطوهم باغصان الاشجار ورموا الضابط بالرصاص لكن الكلب وثب واستلق الرصاصة بيدنهِ فخرقتهُ قبل وصلت الى الضابط فتركهُ الفرنسويون حاسبين انهم قتلوهُ اما هو فنهض وفتش عن الضابط ورفع الاغصان عن وجههِ لئلاَّ يختنق . ولما وُجد الضابط كان مغمًى عليهِ فارتمى الكلب الى جانبهِ حينئذٍ وقضى نحبهُ . وبقي الضابط غائباً عن الصواب اربعة ايام ولما افاق كان اول شيء قالهُ انهُ سأل عن كلبهِ واخبر بما فعل لنجاتهِ ثم بنى لهُ قبراً كتب عليهِ « كان اميناً حتى الموت . اقتدى صاحبهُ بنفسهِ وهدى المنقذين اليهِ »

وكتب الكونت هولندر وهو من اخبر الناس بتربية الكلاب قال

عندي كلبان من النوع المسمّى بول تيرير قلما اخرج من بيتي الاَّ ويرافقني واحد منهما او كلاهما . وهما اقدر من كثيرين من الناس على المسير في الشوارع المزدحمة مهما اشتدّ

الازدحام فيها ومعها كثرت المركبات السريعة الجري · والغالب اني اسير بهما كل صباح في الشيوب (التراموای الذي تحت الارض) حتى اذا بلغنا الروض المعروف بهيد بارك اصعدتهما اليه لكي يلعبا ويمرحا فيه · هذا اذا كانت السماء صاحية واما اذا كانت عطرة فاني اظل سائراً بهما الى ان نصل الى ملعب بكادلي · وكلما كنا ندنو من محطة هيد بارك كانا يقفان وينظران اليّ كأنهما يقولان دنونا من المحطة المعهودة فما رأيك فان قلت لهما كلا الدنيا عطرة جلسا في مكانيهما لا يتحركان الى ان نصل الى ملعب بكادلي فينهضان كاسفي البال كأنهما يظنان انهما حرما من هيد بارك ذلك اليوم · وقطر التراموای يمرّ على محطات كثيرة قبل وصولنا الى هيد بارك ونحن تحت الارض لا نميز الواحدة عن الاخرى ولا ندري اين نحن الاّ من كلام المرشد اما هما فيعلمان دنونا من محطة هيد بارك قبل وصولنا اليها كأنهما يعدان المحطات التي قبلها عدًّا

وكتب السنيور برتلي تولبي صاحب ملعب الحيوانات الايطالي الملكي يقول

لقد وقع لي كثير من الحوادث الدالة على ذكاء الحيوان وسعة حيلته ولكن الحادثة التالية اوضحها وارسخها في ذهني وقد حدثت لما كان معي الدبة الكبيرة التي كنت اسميها مدام بتاثيا وكثير من السعادين · فقد مضيت الى ايطاليا قبل الحادثة المشار اليها وعدت منها وقد اطلقت لحيتي · ولما دخلت الملعب على جاري عادتي دنت الدبّة مني وسيرها يدل على الحذر والتحسّب فادركت حينئذٍ انها لم تعرفني بسبب اطلاقي لحيتي فناديتها باسمها فوقفت في مكانها وقفة المرتاب فوضعت يدي على لحيتي فعرفتني حالاً وبشّت لي · ورأتي اكبر السعادين ولم يعرفني فوثب عليّ يريد تمزيقي ولكنهُ لم يكد يصل اليّ حتى وقفت الدبة على رجليها وضربتهُ بكفها ضربة جبار من الجبابرة · واشتدّ الصراع بينهما وانا انادي السعدان وهو يسمع صوتي فيعرفهُ ولكنهُ ينظر اليّ فيهاني واخيراً دخل بعض اتباعي وابعدوهُ عني · ودنت الدبة مني حينئذٍ وجعلت تفرك انفها بوجهي وامسكت لحيتي بيدها وحاولت نتفها وكأن لسان حالها يقول اعذر السعدان لانهُ جهلك ولو نزعت لحيتك لعاد الى معرفتك · ففعلت كما قالت

وكتبت مسز هارتسهورن رئيسة مستشفى طب الحيوان تقول اننا نطبب في هذا المستشفى الحيوانات التي اصحابها فقراء لا يستطيعون ان ينفقوا على تطبيبها · ولقد رأيت اموراً كثيرة من هذه الحيوانات تدل على ان البعض منها افهم من اصحابها · واغرب حادثة رأيتها مما يدلّ على ذكاء الحيوان ان جاءني رجل ذات يوم ببغاء مريض مشرف على الموت فجعلت اعتني به وحالما استرد شيئاً من قوته جعل ينادي قائلاً « بالله عليكم نادوا الطبيب

البيطار مريض » . فاستغربت ذلك وجعلت ابحث عمَّن عنهُ ان يقول هذا القول فعلمت انهُ يخص امرأة تعتريها نوبات الم شديد وكلما اعترتها النوبة تنادي « يالله عليكم نادوا الطبيب » فتعلم منها هذا النداء . والظاهر انهُ فهم معناهُ وزاد عليهِ من عندهِ الكلمتين الاخيرتين

وكتب المسز كولم سكوت سكرتير ملجإ الكلاب الضالة يقول

ان اغرب حادثة وقعت تحت نظري مما يدلُّ على فهم الحيوان حادثة كلب جاء في يدِ رجال البوليس منذ ايام قليلة فان صاحب هذا الكلب اشتراهُ من لندن منذ عهد غير بعيد وجاء بهِ في سكة الحديد الى بدفورد ونزل في اقرب محطة الى بيتهِ وهي تبعد عنهُ ميلاً ونصفاً . والظاهر ان الكلب انف من البقاء عندهُ واراد الرجوع الى المكان الذي كان فيهِ فهرب من البيت خلسة ومضى يومان لم يسمع صاحبهُ الجديد عنهُ شيئاً ثم جاءهُ كتاب من احد اصدقائهِ يقول لهُ فيهِ اني رأيت كلباً في مركبة من سكة الحديد التي تسير بين بدفورد ولندن على ظوقهِ اسمك وقد حاولنا مسكهُ فلم نستطع واخيراً اختفى قرب المحطة الفلانية

وبُعد البيت عن المحطة ميل ونصف كما تقدم والقطر الذي يعود الى لندن لم يقم من المحطة الأبعد هرب الكلب من البيت باثنتي عشرة ساعة ثم ثبت انهُ انتظر هناك الى ان جاء القطر الذي يعود بهِ الى لندن الى بيتهِ القديم وصعد الى المركبة التي جيءَ بهِ فيها . فكيف ميَّز القطر الذي يعود بهِ الى لندن من غيرهِ وميَّز المركبة التي جاء فيها من غيرها . ولكن الشواهد على ان الحيوانات من كلاب وقطط ونحوها تهتدي الى بيوتها كحمام الزاجل كثيرة جداً يعدُّ منها ولا تعدُّد

هذه خلاصة ما كتبهُ جماعة من امهر المعتنين بتدريب الحيوانات وقد قال اكثرهم انهم رأوا شواهد كثيرة تدلُّ على ذكاء الحيوان وواسع حيلتهِ ولكنهم اقتصروا على ايراد حادثة واحدة لانهُ طُلب منهم ذلك

وقلما انتبه احد الى اطوار الحيوانات ولاسيما الاهلية الأ ورأى فيها ما يماثل الحوادث المذكورة آنفاً . ولكن العلماء الذين امتحنوا مدارك الحيوان امتحاناً عملياً لم يثبت لهم انهُ واسع الحيلة بنوع عام كأنَّ الامور الغريبة التي تشاهد منهُ خاصَّة ببعض افرادهِ لا تشترك فيها الانواع التي من جنس واحد ولا افراد النوع الواحد ولولا ذلك لرأينا بعض انواع الحيوان الاعجم ارقى كثيراً مما هي عليهِ الآن ثم ان الحيوان الذي يبدو منهُ الفهم والذكاء في بعض الامور يبدو منهُ الجهل والحمق في امور اخرى تزيل المزايا الاولى